

أُسس الحرب العادلة للقديس أوغسطين

م. م. ديانا حسين علي

جامعة كركوك / كلية القانون والعلوم السياسية

The principles of saint Augustin's just war theory

M.M. Diana Hussein Ali

University of Kirkuk / College of Law and Political Science

المستخلص: لقد ركز أوغسطين على أن الحرب شرٌّ لا بد منه أحياناً، ووضّح أن الحرب تكون عادلة فقط إذا أعلنتها سلطةٌ شرعية دفاعاً عن المظلوم أو معاقبة الظالم. وشدّد على نية السلام كغرضٍ نهائي وليس لتحقيق المكاسب أو الانتقام، وركز أيضاً على ضرورة السعي للسلام الحقيقي ودوره في إعادة النظام الإلهي والطبيعي، وأيضاً تناول أركان الحرب العادلة: السلطة، السبب، النية. **الكلمات المفتاحية:** الحرب – العدالة – أوغسطين.

Abstract: Augustine considered war an unfortunate necessity to restore order and confront grave injustice, He insisted that war is just only when declared by a legitimate authority for justice or defence, and He emphasized right intention, aiming for peace rather than personal gain or revenge. Peace, for Augustine, meant restoring divine and natural order, Augustine's three pillars—authority, just cause, and right intention. **Keywords:** War – Justice – Augustine

المقدمة: تعد فكرة الحرب العادلة واحدة من أبرز القضايا التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم خاصة في إطار الموازنة بين أخلاقيات الحرب ومتطلبات السياسة، وقد كان القديس أوغسطين من أوائل المفكرين المسيحيين الذين قدموا إطاراً فلسفياً وأخلاقياً لمفهوم الحرب العادلة

حيث سعى الى التوفيق بين التعاليم المسيحية الداعية الى السلم والمحبة وبين الضرورات العملية التي تحتم اللجوء الى الحرب.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على الاسس الفكرية التي وضعها أوغسطين للحرب العادلة، التي ما زالت تلهم النقاشات القانونية والاخلاقية حول النزاعات المسلحة في العصر الحديث، وفهم هذه الاسس يساعد في تعزيز الادراك العميق للعلاقة بين الدين والسياسة و يتيح النظر في كيفية توظيف المفاهيم الاخلاقية لإدارة الصراعات وتحقيق السلام.

هدف البحث: تحليل وتأسيس مفهوم الحرب العادلة عند القديس أوغسطين من خلال دراسة نصوصه الاساسية وربطها بالسياقات الفكرية والتاريخية التي أثرت في تكوين رؤيته.

إشكالية البحث: تتمثل الاشكالية الرئيسية في التساؤل حول مدى اتساق رؤية القديس أوغسطين للحرب العادلة مع المبادئ المسيحية الداعية الى نبذ العنف، وكيف تكون هذه الرؤية إطاراً فلسفياً لتبرير الحرب في سياقات معينة دون ان تحرف عن غاياتها الأخلاقية.

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها ان رؤية أوغسطين للحرب العادلة لا تعتمد فقط على معايير دينية واخلاقية فحسب، بل تشمل ايضاً أبعاداً سياسية واجتماعية تسعى لتحقيق السلام العادل وانهاء الظلم.

منهجية البحث: نظراً لطبيعة الموضوع فقد تم استخدام المنهج التحليلي لتحليل النصوص الاصلية لكتب شيشرون وأوغسطين وتفكيك المفاهيم الاخلاقية والسياسية مثل السلام، العدالة، نية القتل، كذلك تم استخدام المنهج التاريخي حيث تم دراسة السياق التاريخي لحياة أوغسطين وفهم الكيفية التي اثرت فيها الاحداث التاريخية على تشكيل فكره السياسي واللاهوتي.

هيكلية البحث: تم تقسيم البحث لثلاث مباحث، الاول استعراض اهم السياقات التاريخية التي اثرت في تشكيل افكار القديس أوغسطين، المبحث الثاني استعراض اهم افكار شيشرون المؤثر الاول للقديس أوغسطين، المبحث الثالث فتم استعراض اهم افكار أوغسطين عن الحرب العادلة.

تمهيد: تعريف الحرب

تعرف الحرب لغةً بأنها حالة القتل والتوتر، ونقيضها هو السلم أو السلام، أما اصطلاحاً، فهي صراع مسلح ما بين دولتين أو فريقين متنازعين حول موضوع معين، إذا يستعمل كل فريق جميع إمكانياته من أجل دمار المقابل، وتحقيق المصلحة.⁽¹⁾ أما معنى الحرب العادلة أو الحرب الأخلاقية، فهي من المصطلحات التي تتردد في الكتابات الفلسفية والدينية واللاهوتية والسياسية، فالعدالة هنا تشير إلى الفضيلة والمساواة، أو تعني التقيد بمجمل الأخلاق والقوانين والشرائع التي تنظم الحروب وغالباً ما تتأرجح العدالة بين المساواة والخير، ومن ثم تشير إلى توازن القوى.⁽²⁾ وفي هذا البحث سنتطرق الى اهم الشخصيات التي وضعت اسس ومبادئ الحرب العادلة من خلال استعراض افكار اهم من وضع اسس لتقليد الحرب العادلة (أوغسطين) والاطلاع على الانساق التاريخية والمعرفية التي شكلت هذه الاراء، مع البحث بجذور الفكرة الفلسفية والدينية وكل المؤثرات التي كان لها دور في وضع وتشكيل واحدة من اهم النظريات في العلوم السياسية والفكر السياسي والعلاقات الدولية.

المبحث الأول: نشأة أوغسطين وظروف مجتمعه

مما لا شك فيه الاثر الكبير الذي تشكله الانساق المجتمعية والسياسية وكافة الظروف التي تحيط بالمفكر في تكوين افكاره وفلسفته، ولم يشذ أوغسطين عن هذه القاعدة فلقد كان للظروف التي عاصرها ولمس اثارها دوراً كبيراً في تشكيل اراءه ووضع اسس لفلسفته الدينية او السياسية كما سيتم توضيح ذلك في المبحث الاول.

(1) أ. د صدام مريز حمد، الحرب الهجينة وأثرها في مستقبل الصراع العالمي، بحث منشور في مجلة تكريت للعلوم السياسية، 1، العدد (34) 2024، ص 103.
(2) جميل حمداوي، هل هناك حرباً عادلة؟، سلسلة كتب الكترونية تصدر عن مؤسسة كتاب الإصلاح، العدد 14، 2016، ص10.

المطلب الاول: نشأة أوغسطين وتعليمه

ولد (أوريليوس أوغسطينيوس) في 13 من نوفمبر لعام (354م) في مدينة (طاغاستا) أو (طاجستا) في إفريقيا الرومانية (سوق هراس) في الجزائر حالياً، من أب وثني لم يعمد إلا وهو على فراش الموت، وأم مسيحية متدينة تدعى (مونيكاً)، سجلت اسمه (أوغسطين) في عداد المرشحين للعماد، ولقد كان لوالدته المتدينة أثر في تطوره الديني كما حرصت أن تنشئ ابنها على محبة المسيح والتعلق بتعاليمه.⁽¹⁾ إن (أوغسطين) قد حظي باهتمام عائلته لا سيما والدته وقد نال جل عنايتهم، فعندما بلغ الـ(12) من عمره ارسل الى مدرسة ثانوية في مدينة (مادوراوس) قرب (طاغاستا) حيث تلقى العلم فيها لمدة (3) سنوات فتعلم البيان والقواعد⁽²⁾

ومما لا شك فيه ان اتقان (أوغسطين) لليونانية التي بدأ بتعلمها منذ صباه قد ساعده على الاطلاع على أفكار ومذاهب المدارس اليونانية، ولقد وصل من الكفاءة بهذه اللغة ان بدأ يترجم اشعار (هوميروس) والأدب اليوناني⁽³⁾. وبعد اتمام تعليمه في (مادوراوس) وعودته على مسقط رأسه ما لبث ان توجه الى مدينة (قرطاج) حيث عكف على تعلم فن الخطابة فلقد تميز على اقرانه في الخطابة وهناك في (قرطاج) اطلع لأول مرة على مؤلفات (شيشرون) التي تركت أثراً كبيراً في الشاب الصغير، فلقد ساعدته هذه الشروحات على الاطلاع على مذهب الشك عند الافلاطونيين المحدثين* وكذلك استطاع ان يطلع على مذهب الرواقيين والابيقوريين**⁽¹⁾

(1) الان د. فيتزجيرالد، أوغسطينيوس عبر العصور، ج1، ط1، ترجمة عادل فرج عبد المسيح، مركز بيت الحياة، 2010.

(2) كريستيان تورينو، القديس أوغسطين، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة ناصر الحلواني، مجلة حكمة، 2020، ص6.

(3) هنري تشادويك، أوغسطينيوس، مقدمة قصيرة جداً، ترجمة احمد محمد الروبي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2016، ص15.

* الافلاطونية المحدثه: تيار فلسفي ظهر في القرون الميلادية الثلاث الاولى يعتبر امتداد لفلسفة افلاطون اسسه الفيلسوف افلوطين في مدرسة الاسكندرية، أهم مبادئهم: الواحد، الفيض، العودة الى الاصل، العودة للروح، عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1942، ث 54.

** الرواقيين، من الفلسفات الهلنستية، مؤسسها زينون الرواقي في القرن الثالث ق.م أهم مبادئها الفضيلة هي الخير الأسمى، جورج سباين، تطور الفكر السياسي، الكتاب الاول. والابيقوريين، ايضاً من الفلسفات الهلنستية مؤسسها ابيقور في القرن الرابع ق.م أهم مبادئها اللذة على الخير العام، ولكن اللذة العقلية أفضل، نفس المصدر السابق.

فتأثر الشاب (أوغسطين) بفلسفة الافلاطونيين المحدثين، واثرت افكارهم في تكوينه الفكري، لا سيما مؤلفات (افلوطين) و(مزفوريوس الصوري) التي تم ترجمتها الى اللاتينية وهي اللغة التي تحدث بها سكان الاقاليم الافريقية، الخاضعة للحكم الروماني⁽²⁾

وأثناء اقامته في قرطاج اطلع من باب العلم بالشي على نسخة من (الكتاب المقدس) الا انه انصرف عنه بعد ان وجد فيه كتابا ركيكا لا يرقى الى بلاغة (شيشرون) الانيقة وأسلوب (فيرجيل) * القوي⁽³⁾ فبدأ له الكتاب المقدس عبارة عن اسطورة ساذجة تتحدث عن ادم وحواء وسلوك البطارقة الاسرائيليين، ومما لا شك فيه ان النسخة التي اطلع عليها التي تمت ترجمتها من قبل انصاف متعلمين في القرن الميلادي الثاني هي التي تركت فيه هذا الاثر السلبي تجاه لغة وبيان الكتاب المقدس⁽⁴⁾. إلا انه رغم ذلك تأثر بمشكلة طرحها الكتاب المقدس وطالما ارهقت فكر (أوغسطين) وهي أصل الشر، ومن اجل الاطلاع اكثر على الفكرة، بدأ يتردد على مجالس (المانويين) ** عله يجد ما يريح ضميره ليتعرف على آرائهم وافكارهم ومن ثم يعتنق (أوغسطين) المانوية لمدة تسع سنوات، وصار من انشط المدافعين عنها والمبشرين بتعاليمها ولكنه لم يصبح قط احد صفوة هذه الطائفة⁽⁵⁾

أما حياته المهنية ففي عمره التاسع عشر افتتح مدرسة لتعلم البيان في (قرطاج) حيث صار يدرس فن الخطابة وفي قرطاج وضع اول كتبه وكان بعنوان (الجميل والملائم) ومن ثم توجه الى روما حيث عكف على تدريس الخطابة، وفي روما تقدم لمسابقة شغل منصب استاذ

(1) جاريث ب ماثيوز، أوغسطين، ترجمة ايمن فؤاد، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 26.

*فيرجيل، شاعر روماني يعد شاعر الامبراطورية الرومانية عاش في الفترة بين 70 و 19 ق.م، كتب الأنبياء وهي ملحمة وطنية على غرار الاللياذة لهوميروس، فيرجيل، الانبياء، ترجمة حلمي مراد، مكتبة الأسرة، القاهرة.

(2) هنري تشادويك، أوغسطينوس، مقدمة قصيرة جداً، مصدر سبق ذكره، ص 16.

(3) جاريث د. ماثيوز، أوغسطين، مصدر سبق ذكره، ص 26.

(4) هنري تشادويك، أوغسطينوس، مقدمة قصيرة، مصدر سبق ذكره، ص 19.

**المانويين، اتباع المانوية وهي ديانة تنوية تؤمن بوجود مبدأين وقوتين متقابلتين واساسيتين في الكون، أسسها مانو في بلاد فارس تجمع ما بين المسيحية، الزرادشتية، البوذية والفلسفة الافلاطونية، أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، مطبعة الاخوة، القاهرة.

(5) كرستيان تورينو، القديس أوغسطين، مصدر سبق ذكره، ص 6.

للبيان في مدينة (ميلانو) في بلاط حاكم المدينة وهناك التقى بالشخصية التي ستغير قناعاته وافكاره وحياته فيما بعد وهو القديس (امبروز) فكان حينها اسقف مدينة ميلانو وكان يضاهي (أوغسطين) علماً وثقافة⁽¹⁾. إن إعجاب (أوغسطين) بعلم وثقافة (امبروز) دفعته لاحقاً الى ترك (المانوية) التي لم يجد في معلمها من يتمتع بثقافة وعلم يضاهي ما لديه على عكس (امبروز) الذي سرعان ما صار معلماً لأوغسطين، وبدأ أوغسطين رويداً رويداً يتخلى عن مبدأ الشك وبدأ رحلة اعتناقه للمسيحية الكاثوليكية، حيث بدأ من جديد يتلقى دروس العقيدة الالزامية في كنيسة (ميلان)⁽²⁾. قبل ان يُعتمد أوغسطين في كنيسة ميلانو، اختار العزلة مع والدته وبعض اصدقائه حيث اتجه الى الريف ودخل في اجواء الهدوء والعزلة يفكر ويتباحث مع زملائه في شؤون المسيحية والمانوية وعاد بمراجعة الكتاب المقدس، فاطمأنت نفسه وهدأت صراعات اهوائه المتضاربة، ف شعر بانه وجد ما كان يبحث عنه ما يمكن ان يشكل العقيدة الحقة، فعاد الى القديس (امبروز) وقبل منه المعمودية فعمد مسيحياً في سن (33)⁽³⁾

بعد عماده في ميلانو تخلى عن منصبه في بلاط الامبراطور، ثم عاد الى افريقيا مع والدته ورفقاء عزلته وعاش حياة تقشف والزهد في مدينة (طاجيستا) حيث اسس جماعة (المسيحية الصالحة)، وبعدها قام بزيارة لمدينة (هييو) حيث أُختير بأجماع مجلس الابرشية ليشغل منصب الكاهن وبعد خمس سنوات رسم اسقفا لمدينة (هييو)، حيث أسس مدرسة رهبانية واضطلع بمهام تبشيرية والقاء العظات والصلوات⁽⁴⁾

وعلى الرغم من مشاغله الادارية والدعوية استطاع ان يلقي عظات يوم الاحد بشكل مستمر ومنتظم وألف بمساعدة نساخ الدير عدداً كبيراً من الشروحات والتعليقات وترك تراثاً

(1) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، 2014، ص 25.

(2) جاريث. ب. ماثيوز، أوغسطين، مصدر سبق ذكره، ص 26.

(3) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط، مصدر سبق ذكره، ص 27.

(4) كريستيان تورنو، القديس أوغسطين، موسوعة ستانفورد مصدر سبق ذكره، ص 6.

ضخما من مئة كتاب ومئتان وخمسون رسالة وخمسمائة عظة فضلا عن شروحه وتعليقاته⁽¹⁾ لمواجهة المانويين والدوناتيين والوثنيين، ولقد تضمنت كتاباته ورسائله في تلك الفترة نصوص هذه المناظرات والمجادلات⁽²⁾. يمكن القول ان أوغسطين لم يوفر جهدا في كتاباته ومناظراته للقضاء على ما لحق بالمسيحية من بدع وهرطقات واستطاع ان يساهم في تحديد مبادئ العقيدة المسيحية، فكان له دور مهم وكبير في وضع أسس اللاهوت الكاثوليكي⁽³⁾

المطلب الثاني: ظروف مجتمع القديس أوغسطين

في زمن تميز بالتغيرات السياسية والاضطرابات الاجتماعية التي شهدتها الامبراطورية الرومانية المتاخرة، ظهر القديس (أوغسطين) كأحد ابرز المفكرين المسيحيين الذين حاولوا معالجة قضايا اخلاقية وسياسية شائكة، كانت في حينها الامبراطورية الرومانية تواجه الضغوطات الخارجية متمثلة بهجمات القبائل البربرية التي انتهت لاحقا بسقوط روما بيد هذه القبائل، الامر الذي دفع (أوغسطين) الى التفكير بعمق في طبيعة العدالة والسلام، في هذا السياق صاغ أوغسطين مفهوم الحرب والعدالة ساعياً الى التوفيق بين المبادئ المسيحية التي تدعو الى السلام والمحبة والحاجة الى الدفاع عن المجتمع والنظام، اما الحدث الاخر المهم الذي شهدته الامبراطورية الذي لا يقل اهمية عن سقوط روما، هو التحولات الدينية التي شهدتها الامبراطورية الرومانية متمثلة بانتشار المسيحية والتسامح مع اتباعها الامر الذي انتهى لاحقا بالاعتراف بها كدين رسمي للامبراطورية الرومانية، هذه هي اهم حدثين رافقت صياغة (أوغسطين) لافكاره عن الحرب العادلة، كما سنطلع على هذه الاحداث تالياً:

أولاً: سقوط الامبراطورية الرومانية: لقد واجهت الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي أصعب تحدي في تاريخ الامبراطورية تمثل باجتياح القبائل البربرية الجرمانية، التي

(1) جاريث. ب. ماثيوز، أوغسطين، مصدر سبق ذكره، ص 31.

(2) كريستيان تورنو، القديس أوغسطين، موسوعة ستانفورد مصدر سبق ذكره، ص 7.

(3) جاريث. ب. ماثيوز، أوغسطين، مصدر سبق ذكره، ص 31.

سبق لها في القرن الثاني الميلادي ان انتزعت بعض المقاطعات من السيادة الرومانية، في ذات الوقت واجهت روما صراعاً داخلياً على السلطة والعرش الامبراطوري الامر الذي ادى الى مقتل العديد من الابطاطرة، هذا الصراع ترافق مع فوضى وفساد اداري في مفاصل الدوائر والمؤسسات الادارية مترافقا مع انتفاضات العبيد⁽¹⁾

كل هذه الازمات مجتمعتاً توجت عام (401) بعبور القائد القوطي (الاريك) جبال الالب حيث توجه الى ايطاليا وبعد عدة مواجهات مع الجيوش الرومانية التي استطاعت في بعض المعارك من تكبيده الخسائر والهزائم الا انه عام (409) فرض حصاراً قاسياً حول العاصمة روما الامر الذي اودى بحياة الالاف من سكة روما، وفي اثناء الحصار هرب الامبراطور (هونوريوس) تاركاً روما لمصيرها حيث استطاع (الاريك) عام (410) من دخول روما، فاصبحت المدينة فريسة السلب والنهب حيث احرق قوت (الاريك) منازل الاغنياء ودمرت الاثار والكنوز، فاعتري سكان روما الفزع والهلع ولجأوا الى الاماكن النائية طلباً للامان، استمر نهب روما لمدة ثلاث ايام حيث صارت خراباً موحشاً خالية من رفايتها وكنوزها، الا ان روما لم تكن بالنسبة للقائد القوطي ملاذاً ولا مستقراً له او لقومه فتوجه لافريقيا⁽²⁾ وعندما وصلت هجمات القوطيين الى شمال افريقيا كان (أوغسطين) في تلك الفترة يشغل منصب اسقف مدينة (هيبيو)، حيث استشاره الاساقفة والقساوسة حول بقائهم في مناصبهم واديرتهم او يلجئون الى الفرار، فأمرهم (أوغسطين) بالبقاء وكان هو اول من صمد في ديره يرفع من معنويات الناس المضطربة⁽³⁾

(1) أ. س سفينسيسكايا، المسيحيون الاوائل والامبراطورية الرومانية: خلفاء العصور، ط2، ترجمة د. حسان ميخائيل اسحاق، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2007، ص 257.

(2) محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الامبراطورية، ط3، دار المعارف القاهرة، 199، ص 128.

(3) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، عصر الإيمان، المجلد 4، الجزء الأول، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ص 108.

كان رأي (أوغسطين) حول سبب سقوط روما (الذي اعتبر أنذاك من اعمال الشيطان) ان سقوط المدينة الاثمة حسب رأيه كان ما هو الا تمهيداً لقيام مدينة الله⁽¹⁾

أما الوثنيين رأوا في سقوط روما* اشارة الى غضب الالهة القديمة، حيث تخلت روما وسكانها عن عبادتها معتقن المسيحية، لا سيما ان روما اصبحت حصناً للمسيحيين آنذاك، الامر الذي اثار غضب الآلهة وسبب في دمارها على يد القوطيين وقائدهم⁽²⁾، في تلك الفترة تزعزع ايمان الكثير من المسيحيين الامر الذي خلق تحدياً كان لا بد لـ (أوغسطين) ان يواجهه، فبذل جهده وعبقريته لتبرئة المسيحية وذلك من خلال كتابه (مدينة الله) الذي استمر بتأليفه لثلاثة عشر عاماً ليدافع عن الايمان المسيحي ويبرئ المسيحية والمسيحيين من ما حل بروما، مؤكداً ان ما حل بروما هو بسبب مفسدها وأثامها التي مورست فيها، فدين روما الوثني هو الذي يحتوي على الآثام والمفاسد⁽³⁾

رغم سقوط روما والوهن الذي اصاب الامبراطورية الا انه من ناحية اخرى كان لرجال الدين المسيحيين دوراً في الحفاظ على الحضارة القديمة في مكاتبهم واديرتهم كما اداروا العديد من المدارس، فيمكن القول ان هذه الحقبة شهدت انهيار الامبراطورية ولكن بداية ارتفاع شأن الكنيسة والمسيحيين في الغرب⁽⁴⁾

ثانياً: انتشار المسيحية: على الرغم من الوهن الذي اصاب الامبراطورية الرومانية في القرنين الثالث والرابع، الا انه من ناحية العقيدة نجد ان الحياة الدينية قد ازدهرت، فانتشرت المسيحية

(1) نوريس بيشوب، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة علي السيد، ط1، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 13.

*في العام 476 كانت نهاية الامبراطورية الرومانية الغربية الرسمية على يد قوات القائد الجرمانى (أوداكر) حيث تم عزل الامبراطور (رومولوس أوغولوس)، ادوارد جيبون، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ط2، ج2، ترجمة محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص433.

(2) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، مصدر سبق ذكره، ص 148.

(3) محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية، مصدر سبق ذكره، ص 77.

(4) نوريس بيشوب، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، مصدر سبق ذكره، ص 15.

في القرنين الثالث والرابع الى جانب بعض الديانات الوثنية التي غدت مجرد طقوس شكلية لا تروي الظماً الروحي ولا تهدي من خلق الناس⁽¹⁾

وبذات الوقت كانت الامبراطورية الرومانية تتعرض لهجمات على حدودها الغربية من قبل قبائل الجرمان والقوط، فطرح اقتراح التحالف مع المسيحيين بدل من ملاحقتهم واضطهادهم كما كان يحدث دائماً وعلى مدى قرون عديدة⁽²⁾، فلطالما كان ينظر الى المسيحيين بعين السخط وعدم الثقة وذلك لعدم انخراطهم بالجيش، بسبب ايمانهم بالسلام ورفضهم للعنف وعدم انصياعهم لاوامر احد، وعدم خضوعهم لسلطة احد الا سلطة الكتاب المقدس وطاعة الله⁽³⁾

كما اعتبر خروج المسيحيين في بداية امر المسيحية عن عبادة آلهة روما كان يعد خروجاً على البناء المجتمعي للامبراطورية الرومانية فكانت السلطات تعدهم اناساً غرباء خطيرين، وبالمقابل كان عناد المسيحيين وتمسكهم بدينهم وتعاليم الكتاب المقدس قد زاد من وتيرة الاضطهاد والتعذيب والتتكيل بهم⁽⁴⁾

الا ان المسيحيين قابلوا هذا التتكيل والتعذيب بصبر وصمود الامر الذي اثار تعاطف المواطن الروماني العادي الذي كان بدوره يرزح تحت وطأة ثقل الضرائب وتعسف جهاز ادارة الدولة⁽⁵⁾

بمجيء القرن الثالث ووصول الامبراطور قسطنطين الى عرش الامبراطورية اصدر (مرسوم ميلان) (313م)، حيث اعترف بهذا المرسوم بالمسيحية ديانة على قدم المساواة مع الاديان الاخرى، حيث اعطى للمواطن حق اختيار دينه وممارسة شعائره وبذلك اعطى لاتباع الديانة المسيحية حرية دينية بعد ان كانت غير معترف بها فأصبحت مرخصة، ورويداً افقدت

(1) محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية، مصدر سبق ذكره، ص 49.

(2) أ.س سفينسكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية، خفايا القرون، مصدر سبق ذكره، ص 264.

(3) محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية، مصدر سبق ذكره، ص 62.

(4) أ. س سفينسكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية، خفايا القرون، مصدر سبق ذكره ص 264.

(5) المصدر نفسه، ص 264.

المسيحية بقيت الديانات نفوذها وقوتها حيث امر قسطنطين بعدم المساس بالكنائس في حين امر بذات الوقت بتدمير مزارات ومعابد وثنية الامر الذي جعل ميزان القوى يميل لصالح المسيحية الى ان اتى اليوم الذي بانته فيه المسيحية الدين الرسمي الوحيد في الامبرطورية الرومانية.⁽¹⁾

وعلى الرغم من مرور أكثر من قرن على ذلك المرسوم الكبير، الا ان أوغسطين قد عاصر بقايا التحديات التي رافقت هذا التحول القائم والمستمر في حياته.

المبحث الثاني: الجذور الفلسفية لنظرية الحرب العادلة: شيشرون

مما لا شك فيه ان شيشرون يُعد من ابرز الفلاسفة الذين وضعوا اسس لمفهوم الحرب العادلة، حيث تناول في كتاباته مهمة وضع اطار اخلاقي يحدد متى تكون الحرب مبررة وما هي الشروط التي يجب ان تلتزم بها لتظل عادلة، ركز في طروحاته الفكرية على ضرورة الالتزام بمبادئ الشرف والعدالة مما يعكس رؤيته لدور الاخلاق في العلاقات الدولية، هذه الافكار والطروحات شكلت الجذر الفلسفي الذي اعتمده لاحقاً القديس أوغسطين في تطويره لمفهوم الحرب العادلة بعد اربع قرون تقريباً الامر الذي يعكس تأثير شيشرون العميق في الفلسفة السياسية المسيحية بشكل عام وفلسفة أوغسطين بشكل خاص.

المطلب الاول: أسباب الحرب العادلة عند شيشرون

حسب رأي شيشرون ان الحرب يجب ان تكون الملاذ الاخير وان لا تشن الا لاسباب مشروعة وهذه الاسباب تتلخص بالتالي:

أولاً: الدفاع عن النفس: عندما تتعرض الدولة لعدوان خارجي يهدد سيادتها وامنها، والدولة عند شيشرون اعلى اشكال المجتمع الانساني ووجودها ضروري للرفاهية الاخلاقية والحسية للجنس البشري وسقوطها كانه سقوط للكون هذه الدولة اذا ما تعرضت للظلم من الخارج، هنا تظهر

(1) المصدر نفسه، ص 65 – 67.

لشيشرون مسألة اذا كان بالإمكان الانخراط بشكل عادل في اعمال عدائية ضد اعداء الدولة، فجواب شيشرون سيكون بان هذا الامر يمكن اذا كان لا يوجد حل سلمي متاح فالدولة لا تشن حرباً الا دفاعاً عن شرفها وسلامتها وهذه المقدمة بالتحديد سيطورها لاحقاً القديس أوغسطين⁽¹⁾، فالحرب الدفاعية هي الحرب المشروعة فالغرض منها الدفاع وليس التوسع او العدوان بل الدفاع عن الحقوق والحرية⁽²⁾، وحتى الحرب الدفاعية بالنسبة لشيشرون لا يجب اللجوء اليها الا بعد استنفاد جميع وسائل التفاوض، بعدها يتم اللجوء للحرب للدفاع عن النفس او استعادة الدولة ما لها⁽³⁾

ثانياً: استعادة الحقوق: فالحرب مبررة في حال السعي لاستعادة املك الدولة المسلوبة او في حال انتهاك معاهدات بين الدولتين، فمن الضروري الوفاء بالعهود والوعود حتى مع الاعداء، فيجب حسب شيشرون ان تكون هناك قيمة اخلاقية للحرب فالحرب حتى تعد عادلة ليست فقط دفاعاً عن النفس، بل يجب ان تكون النية وراء الحرب هي استعادة الحقوق وهي معيار مهم وأساسي للقتال، فالغاية النبيلة للحرب هي استعادة الحقوق المسلوبة وليس الحصول على مكاسب اقتصادية او توسع في الاراضي⁽⁴⁾

ثالثاً: حماية الحلفاء: عندما يكون هناك التزام قانوني أو اخلاقي بحماية طرف اخر تعرض للعدوان، هنا يكون الانخراط بالحرب امراً مبرراً فخوض الحرب يعد عادلاً من اجل الدفاع عن تلك الشعوب المتحالفة مع روما لدفع الظلم والحيث عنها، فشيشرون يعتبر انه من الظلم ان لا

(1) John mark mattox, Saint Augustine and the theory of just war, British library cataloguing Data, 2006, P15.

(2) 108 G.W featherston Haugh, published by G.&C Carvill, CICERO, the Republican,(2) P 142. Broadway ,1829, New York,

(3) p15 lbid, John mark mattox, Saint Augustine and the theory of just war,(3)

p140. lbid, the republic, Cicero,(4)

تحمي ولا تدافع عن أولئك الناس الذين وقع عليهم الظلم ويشير شيشرون في عدة مراجع بأن شعب روما ومن خلال دفاعه عن حلفائه قد اكتسب السيطرة على العالم كله⁽¹⁾

رابعاً: تحقيق السلم والاستقرار: ففي بعض الحالات تكون الحرب ضرورية لاعادة النظام ومنع المزيد من الاضطرابات، فالعذر الوحيد للذهاب الى الحرب هو الرغبة في العيش بسلام دون الاصابة بأذى، هذا المبدأ سوف يأخذه أوغسطين لاحقاً ويؤكد عليه مرارا وتكرارا.

المطلب الثاني: مبادئ الحرب العادلة: لقد طور شيشرون اخلاقيات الحرب التي تنتبأ بالعديد من مبادئ وتقاليد الحرب العادلة، ان لم يكن معظمها وهنا لا بد من الاشارة الى انه ليس من الصواب القول ان المسيحية هي التي وضعت اسس الحرب العادلة وانما شيشرون من اسس لهذه المبادئ التي هي كالتالي:

أولاً: وجود سبب عادل بمعنى ان تشن الحرب لسبب مشروع وليس من اجل الطمع او التوسع وحتى الحروب التي تشن من اجل تمجيد روما لا يعتبرها حروباً عادلة بشكل قاطع فهي وحسب وجهة نظره اقل عدلاً من الحروب التي تشن من اجل الدفاع عن الامبراطورية لذا يدعو شيشرون الى نقاء الدافع الوطني عند شن الحروب⁽²⁾

ثانياً: الاعلان العام اي يتم اعلان الحرب بشكل رسمي فالحرب يجب ان يتم الاعلان عنها بقرار من سلطة شرعية وليس من قبل افراد او جماعات غير مخولة⁽³⁾، فحسب شيشرون لا توجد حرب عادلة اذا لم تشن الا بعد تقديم تحذير رسمي او تقديم طلب رسمي للرضا، ان متطلبات الاعلان العام للحرب والمطالبة بالرضا قبل بدء الاعمال العدائية عادة متجذرة بعمق في الثقافة الرومانية ففي وقت مبكر من عام 509 ق.م كان لروما كهنة مختصون باقامة احتفالات الدينية التمهيدية لاعلان الحرب، كما يقوم مجلس (الفيتيالوم) بارسال مندوب الى

(1) John mark mattox, Saint Augustine and the theory of just war, Ibid, p 15.

(2) John mark mattox, Saint Augustine and the theory of just war, Ibid, p 15.

(3) Ibid, p 15.

الدولة التي ارتكبت ظلماً ضد روما، حيث يبين المندوب الروماني لهذه الدولة الظلم الذي حصل ضد روما، حيث يتم منح هذه الدولة فرصة ثلاثون يوماً يتم من خلالها ارضاء روما، هذه الزيارة الرسمية وفترة الانتظار كانت تمثل انذار نهائي على اعلان الحرب، لقد اعتبر شيشرون هذا الاجراء باعتباره معرفة عامة لاعلان الحرب⁽¹⁾

ثالثاً: ان السلام هو الهدف النهائي للحرب فحسب شيشرون ان العذر الوحيد للذهاب للحرب هو الرغبة في العيش بسلام دون الاصابة بأذى، وهذا يعد من المبررات الاخلاقية التي تخاض من اجلها الحروب وهي النقطة التي سوف يؤكد عليها أوغسطين بوقت لاحق⁽²⁾

رابعاً: الحرب هي الملاذ الاخير، حيث يجب استنفاد جميع الوسائل السلمية والدبلوماسية قبل اللجوء للقتال ويرى بانه يجب اللجوء للطرق السلمية لفض النزاع حتى يقوم الاعداء بفعل الايذاء، فهنا ستخوض الدولة الحرب لتصحيح الخطأ الذي ارتكبته الدولة الاخرى بحقها، فحل النزاعات يبدأ بحلها أولاً بالنقاش والتباحث ومن ثم اللجوء للقوة ومتى ما تحقق النصر، يجب عدم استثناء الذين لم يكونوا انسانين وقساة اثناء الحرب من المعاملة العادلة، فالحرب هي العلاج الاخير وعندما يتم خوضها يجب ان يكون بشجاعة وعدالة⁽³⁾.

خامساً: اتباع مبادئ الشرف في الحرب حيث تخضع الحرب للقوانين الاخلاقية، بحيث لا تستهدف المدنيين ولا تتسم بالغدر او الوحشية الغير ضرورية، فعندما يتم خوض الحرب لسبب عادل لا يجعل منها حرباً عادلة مالم يتم وضع قيود على الطريقة التي يتم فيها خوضها، فليس مبرر للدولة المظلومة ارتكاب اعمال عنف غير مقيدة ضد اعدائها، فهناك حد للقصاص او

(1) Arastirma makalesi, the just war in political thought, from cicero to Gristius, Cankiri Kara tekin university, journal of the faculty of Economic And Administration Sciences, Y2022, volum 13, Issue 3, p 192.

(2) Cicero, the Republic, Lpid, P 142.

(3) Arastirma makalesi, the just war in political thought, from cicero to Gristius, Cankiri Kara tekin university, journal of the faculty of Economic And Administration Sciences, Y 2022, volum 13, Issue 3, p 192.

العقاب حتى تجاه أولئك الذين مارسوا الظلم⁽¹⁾، فعلى القادة الالتزام بالقيود الاخلاقية حتى لو كان الدفاع امراً مبرراً فالحرب يجب ان لا تتحول لاداة انتقام بل يجب ان تظل مرتبطة بمبادئ الشرف والعدالة⁽²⁾

سادساً: حسن النوايا فمن الاهمية القصوى لدى شيشرون الحفاظ على حسن النية مع العدو، اذ تم اعطاء وعد للعدو سواء نيابة عن الامة او عن جندي فردي، فيجب الوفاء بالعهد حتى لو كان هذا الوعد تحت ضغط الظروف فشيشرون يحظر الخداع من النوع الذي ينشأ عندما يتم استخدام الهدنات او غيرها من الوسائل المعترف بها لطريقة غير شريفة لغرض الحصول على ميزة غير عادلة، فهو يرفض المغالطات القانونية من النوع الذي يؤدي الى انفاذ نص الاتفاقيات الدولية في تجاهل تام لروح الاتفاقيات، فغالباً ما ينشأ الظلم ايضاً من خلال الخداع اي من خلال الخداع المفرط وحتى البناء الاحتيالي للقانون، وفيما يتعلق بالوعد يجب على المرء دائماً ان ياخذ بعين الاعتبار المعنى وليس مجرد الكلمات⁽³⁾

المبحث الثالث: مبادئ الحرب العادلة عند القديس أوغسطين

المطلب الاول: الإطار الفلسفي والاخلاقي للحرب العادلة

يمكن القول ان العنصر الاساسي في نظرية الحرب العادلة لأوغسطين هي فضيلة العدالة فيرى أوغسطين ان تاثير هذه الفضيلة ليس على داخل الانسان وخلقه، بل تشمل ايضاً احساساً بالعدالة المدنية وهو الامر الذي يلقي بضلاله وتأثيره على البيئة الخارجية للشخص، فنرى ان معنى العدالة عند أوغسطين تركز على معاملة الآخرين وأيضاً تشمل الاداء السليم للواجب

(1) John mark mattox, Saint Augustine and theory of just war, Ibid, p 17.

(2) Cicero, the Republic, Lpid, P 145.

(3) John mark mattox, Saint Augustine and theory of just war, Ibid, p18.

المدني فهنا العدالة ستكون فضيلة مدنية⁽¹⁾، أما فيما يخص مفهوم الحرب العادلة يتحدث أوغسطين عن أطر فلسفية ولاهوتية تحدد عدالة الحرب مما يجعلها مباحة أخلاقياً:

أولاً: الشرعية اللاهوتية للحرب: يرى أوغسطين ان التفويض الالهي للحرب هو الذي يجعل العمل او محاولة القيام به او مجرد التفكير فيه جديرة بالثناء ولا يكون بحاجه الى تبرير وحتى لو لم تكن الارادة البشرية غير موافقة على التفويض الالهي يجب تجاهل هذا الشعور بعدم الرضى على العمل البشري وذلك بقبول واحترام التفويض الالهي لأي كان وهنا يسقط أوغسطين هذا المبدأ على الحرب فنراه يشير الى ان موسى (عليه السلام) قد خاض الحروب التي ورد ذكرها في العهد القديم بأمر الهي، حيث اظهر موسى طاعته لأوامر الله، ولا يرى أوغسطين في الحروب التي تخاض بتفويض الهي مباشر اي شر حتى الموت والقتل الذي سيواجه الجميع عاجلاً ام اجلاً، ولكن الشر يكمن بحب العنف والقسوة الانتقامية والعداوة الشرسة والعنيدة.⁽²⁾

فالعالم المسيحي خليفة اله عادل ومحب، خلق هذا العالم بحالة من الكمال خالياً من الحروب خلال فترة وجودهم الارضي ولكن قد يخوضون احيانا حروباً عادلة او غير عادلة، ففي نهاية المطاف يصيرون اداة بيد الله تعالى يحرك بها مصائر الشعوب لغاية الوصول الى مصائرهم الابدية، هنا نلاحظ ان رؤية أوغسطين غائية فالحرب انما تحرك البشر نحو النهاية ودائماً تحرك البشر نحو النهاية الايجابية فقط.⁽³⁾

وقد تكون الحرب وحسب أوغسطين اداة لمعاقبة الاشرار على يد الاخيار والصالحين وطاعةً منهم لله او السلطة القانونية يقومون بشن هذه الحرب كفعل عقابي وليس دفاعاً عن النفس وحسب، فهنا تكون ممارسة للقوة الالهية، فعندما تشن الحرب طاعته لله يجب ان تكون

(1) Berit van Neste, Cicero and ST. Augustine's just war theory: classical influences on a Christian idea, thesis of master, university of south florida, 2006, p 14.

(2) John Langan, the element of St. Augustine's just war theory, the journal of religious ethics vol.12 ,no.1, 1984, p 21.

(3) Henrik Sysc, Religious ethics, Christianity and war, an article published in Nordic journal of applied ethics, 2009, p 122.

هذه الحرب حرباً عادلة، وهنا ينظر لها أوغسطين من جانب روحي فهي ليست فقط تهديد لحياة الانسان بل يجب ان ينظر اليها باعتبارها قوة وسر العناية الالهية فالبشر لا يدركون ذلك في خضم معاناتهم وشقائهم اثناء الحروب، فالله يوجه ارادات البشر ومن ضمنها الاسباب المخفية للقيام بالحروب.⁽¹⁾

كما قدم أوغسطين تفسيراً لاهوتياً آخر لخوض الحرب، فعند سقوط الانسان بالخطيئة وخروجه من الجنة هذا الامر اورثه طبيعة شيطانية تغريه بالسيطرة على اقرانه والحصول على السيادة من خلال الحرب اذا لزم الامر، وهنا سيدوق الاخيار والاشرار ويلات هذه الحروب ومعاناتها في هذه الحالة وجب على الانسان الرضى باعمال العناية الالهية غير المرئية ويتحمل معاناتها حتى من خلال الحرب غير العادلة.⁽²⁾

فلشن الحرب والقتل استثناءات تظم اسماء قد امر الله بقتلهم وأي شخص يفوض من قبل الله لتنفيذ ذلك لا يعتبر قاتلاً فهو سيف بيد الارادة الالهية، فالذين قاتلوا في الحروب الالهية بناء على اوامر الله، او الذين دفعوا بالمجرمين الى الموت بصفتهم الرسمية كممثلين للدولة لتنفيذ القوانين بعد محاكمة عادلة للمجرمين، كل هؤلاء لم يتجاوزوا على وصية الله بعدم القتل.⁽³⁾

ثانياً: الحرب كضرورة أخلاقية: يعتقد أوغسطين ان الحرب لا تشن الا ضد الخطايا، اما الانتصارات التي يحققها الاشرار فهي مستمدة من عقاب الله سواء ذلك باذلال المهزومين او ازالة خطاياهم او معاقبتهم بكلمة اخرى، فخطيئة الانسان تسبب اندلاع الحرب والغرض هو توسيع الممالك الفاضلة وتحجيم الخطاة والاشرار، فهنا الحرب ستكون ضرورية من اجل توسيع ممالك الخير والفضيلة وتحجيم الامبراطوريات التي يحكمها الاشرار التي سوف تهدد السلام

(1) John Langan, the element of St. Augustine's just war theory, Lpid, p 22.

(2) Henrik Sysic, Religious ethics, Christianity and war, Lpid, p 122.

(3) Lpid, p123.

العالمي لاحقاً، هنا يعتبر أوغسطين الحرب عادلة باعتبارها رد فعل على اخطاء تؤدي الى توسع الامبراطوريات بشرط ان تكون هذه طريقاً مؤدية الى السلام.⁽¹⁾

ويؤكد في كتابه مدينة الله على فكرة ان الفرد المسيحي في المدينة الارضية يسعى للأعمال الصالحة المؤدية الى سلام هذه المدينة ولكن احياناً لا يتحقق السلام الا بدخول الحرب وتحقيق النصر على الاعداء، عندئذ يحل السلام كأمر جيد وفعل صالح، وهنا عندما يحل السلام تختفي مقاومة الاعداء ويحل السلام الذي لم يكن موجوداً بين الاطراف عندما كانوا يتحاربون ضد بعضهم البعض⁽²⁾ ومن يطلع على شؤون البشر وطبيعتهم المشتركة سوف يلاحظ انهم يسعون للسلام كما يسعون للفرح، حتى الذين يلجئون للحرب لا يسعون سوى للنصر المؤدي للسلام فالسعي للانتصار على الاعداء هو السبيل للوصول الى السلام، وحتى اولئك القادة الذين يرغبون باختبار مهاراتهم العسكرية بإصدار الاوامر وانشغالهم بالمعارك هم ايضاً يحاربون من اجل السلام فهو النهاية المرجوة في مدينة الله.⁽³⁾

فالرجل الحكيم هو من يدخل حرباً عادلة فقط من اجل ان يرفع الظلم الذي وقع عليه وحتى عندما يدخلها نراه يشعر بالمرارة فقلب هذا الرجل الحكيم لا يجد السعادة في قتل وازهاق ارواح الناس، اما من يدخل حرباً ويتهلل لقتل الاخرين فهو انسان بائس وان كان في حرب عادلة، فقلبه لا يحمل مشاعر انسانية.⁽⁴⁾

وفي موضع اخر من مدينة الله نجد ان أوغسطين يلوم طرفي الحرب، الطرف المعتدي وهو الطرف الاول والطرف الثاني الذي اضطر لدخول الحرب، فالاول يخطئ بسبب ممارساته

(1) Andrej Zwitter, Augustine on war and peace, an article, peace Review 26, no.3, july 3, 2014, p 2.

(3) أوغسطين، مدينة الله، ترجمة الخور أسقف يوحنا الحلو، ط2، دار المشرق، بيروت، 2007، ص 239.

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص240.

الظالمه، والثاني قد دخل الحرب كنوع من تأديب الهي على خطايا سبق وان ارتكبها⁽¹⁾، وهنا يمكن تفسير ذلك الرفض للحرب ووضع شروطها الضيقة لتكتسب عدالتها الى ما شهده أوغسطين من هجوم قوات الارك على افريقيا وبالتحديد شمالها وما شهده من سفك للدماء الامر الذي ملأ قلبه الالم والمرارة فأثر ذلك بشكل او باخر في تشكيل اراءه حول الحرب والدخول فيها.⁽²⁾

المطلب الثاني: شروط الحرب العادلة

اولاً: السلطة الشرعية: حيث يرى أوغسطين ان الحرب يجب ان تقاد وتعلن من قبل سلطة شرعية (ملك-امبراطور) وليس من قبل الافراد او جماعة خارجة عن الدولة، فمسؤولية ادارة شؤون الدولة هي من اختصاص الحكام وكذلك تقع على عاتقهم مسؤولية الدفاع عنها، وعليه تم رفض واستبعاد الحروب الخاصة من دائرة الحرب العادلة، فقرار الحرب يجب ان يكون صادراً من حكومة شرعية⁽³⁾، فأوغسطين يؤكد على شرط السلطة الشرعية المسؤولة عن اعلان الحرب حتى وان وجدت الاسباب العادلة والنية الاخلاقية، فعدم صدور امر الحرب من سلطة مخولة شرعية يسقط عن الحرب عدالتها ومع توافر جميع الشروط والاسس لاعتبار الحرب عادلة، فأوغسطين يعتبر ان الرجل الحكيم يشعر بالحسرة لضرورة قيام الحرب والقتل فهو يعلم بانه مهما كانت العدالة قائمة فان القتل فساداً اخلاقياً وخراب المدن هي مآسي لا مفر منها ولهذا فان السعي الحقيقي هو من اجل سلام ابدى وهو الامر الذي سيحصل في الحياة الاخرى حيث يخضع الجميع لإرادة الله بالكامل.⁽⁴⁾

(3) المصدر نفسه، ص 241.

(4) هنري تشادويك، أوغسطينوس، مقدمة قصيرة جداً، مصدر سبق ذكره، ص 15.

(1) ديفيد فيشر، الاخلاقيات والحرب: هل يمكن ان تكون الحرب عادلة في القرن الواحد والعشرين، ترجمة عماد عواد، اصدارات عالم المعرفة، الكويت، 2014، ص 105.

(2) أوغسطين، مدينة الله، مصدر سبق ذكره، ص 241.

ثانياً: النية الحسنة: بدايةً نقدم تعريف عن حسن النوايا فهي تصحيح الخطأ الذي يشكل جوهر القضية العادلة ومن هذا التحديد الضيق يكون الهدف من النوايا الحسنة هو تحقيق السلام⁽¹⁾، أما من الناحية القانونية تعرف النوايا الحسنة بانها الفعل او العمل الذي يتوافق مع المقومات الاخلاقية المتمثلة بالنزاهة والثقة والامانة، كما انها ترتبط بالعدالة التي تجبر الشخص على الالتزام بحدود الشرع والقانون وما يمليه ضمير الفرد في عدم الخروج عليه⁽²⁾

اما أوغسطين فيرى ان الحرب ليست شراً في ذاتها دائماً، بل يمكن ان تكون اداة لتحقيق العدالة والسلام بشرط ان تكون النية صادقة وأخلاقية وهنا يجب ان نشير الى تقليد الحرب العادلة قد تشكل من خبرات ادارة الدولة عبر العديد من القرون وهذا الشرط يعكس طبيعة وواقعية البشر وهنا يسعى أوغسطين للحيلولة دون الوقوع تحت سيطرة الاغراء الذي يفرض سلطته على رجل الدولة والسياسي للدخول في الحرب العادلة في حين انه يضمّر بذات الوقت نوايا داخلية اخرى. هذه الازدواجية قد تبطل الصفة الاخلاقية للحرب التي لا تعتمد على التصريحات الظاهرة بقدر ما تعتمد ايضاً على النوايا الباطنة، فحتى لو اعلنت سلطة شرعية حرباً نصرتها لقضية عادلة فانه من الممكن ان تصبح هذه الحرب غير عادلة وغير مشروعة بوجود النية السيئة⁽³⁾ فنرى أوغسطين يؤكد على النوايا الحسنة في خوض الحرب فالشر الحقيقي في الحرب ليس القتل ولا الموت فقط، ولكن حب العنف والرغبة في السلطة والرغبة في الانتقام وكراهية العدو هي الشر الحقيقي، فهذه التصرفات تكشف ظملاً متأصل، فهي امثلة على الارادة البشرية التي لا تتوافق مع القانون الالهي⁽⁴⁾ والواقع يقر بوجود خليط في النوايا والدوافع، الا انه

(3) ديفيد فيشر، الاخلاقيات والحرب، مصدر سبق ذكره، ص 107.

(4) أ. د احمد سمير محمد، مبدأ حسن النية في قانون المرافعات المدنية: دراسة تحليلية مقارنة، بحث منشور في مجلة الدراسات المستدامة، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد الثالث، ملحق 1، 2021.

(1) ديفيد فيشر، الاخلاقيات والحرب، مصدر سبق ذكره، ص 18.

(2) J. warren smith, Augustin and the limits of preemptive and preventive war, journal of religious ethics, Feb 2007.

يجب ابعاد النوايا الشريرة كالجشع والوحشية فالقضية العادلة لن تضيء الشرعية على الحرب الا اذا كان اللجوء اليها لمصلحة تلك القضية اي وجود نية سليمة⁽¹⁾

ثالثاً: الهدف العادل: حسب رأي أوغسطين لتكتمل شروط الحرب العادلة يجب ان تكتمل بوجود هدف عادل تسعى اليه هذه الحرب، لذا نراه ينتقد حروب روما التوسعية ويرى بانه على المرء ان يكتفي بالعيش في مدينة او دولة صغيرة والتمتع بالتعايش السلمي مع دول الجوار، الا انه يرى بذات الوقت ان التوسع لم يكن السبب الاول والوحيد لحروب روما وانما عدم عدالة واستفزاز جيران روما المتكرر الامر الذي اقتضى ان ترد روما بظلم الحرب، في هذه الحالة كانت الحرب ضرورية لمنع الظالمين من الانتصار على العدل حيث يبرر أوغسطين العمل الاستباقي حيث يكون الدافع هو تحقيق العدل قبل الدفاع عن النفس⁽²⁾

ويؤكد في رسالته الى القائد الروماني بونيفاس على ضرورة تعامل الفرد بالايمان حتى مع اعدائه وأن يكون السلام هو الهدف والرغبة الحقيقية، فتشن الحروب للضرورة حيث ينقذ الله بهذه الحروب الناس ويحفظ السلام، اي ان تشن الحرب للحصول على السلام، فحتى عند خوض الحرب يجب ان يتحلى الانسان بروح صنع السلام حتى يخضع العدو لهذه الروح التي تطلب السلام⁽³⁾ فالله يقول "طوبى لصانعي السلام"⁽⁴⁾ فلا احد يرفض السلام حسب رأي أوغسطين حتى اولئك الذين يشنون الحروب فهم لا يعلنون الحرب الا من اجل اقامة السلام الذي يبتغونه وان كان ذلك عن طريق القتال، فالحرب ما هي الا سعي عنيف من اجل السلام، لذا نجد ان الاخيار والصالحين لا يفرحون بالحرب بل يحزنون من الضرورة التي اجبرتهم عليها مع انهم لا يشكون في عدالة ما يفعلون، فلو لم يوجد ظلم في العالم لما كان ثمة داع لقيام

(3) Lbid.

(4) J.warren smith, Augustin and the limits of preemptive and preventive war, journal of religious ethics Lbid.

(1) أوغسطين، رسالة أوغسطين للقائد بونيفاس، 189،

advent,newadvent.org/fathers/1102189.htm?utm_source=chat

(2) العهد الجديد، انجيل متى، الاصحاح 5 الآية 9.

الحروب العادلة او غير العادلة، ولهذا سيظل السلام هدف الانسان وان تنوعت السبل التي تقود اليه.⁽¹⁾ عند تقييم المبادئ التي وضعها القديس أوغسطين للحرب العادلة التي اهمها:

- ان تكون حرباً دفاعية.
 - تصدر بقرار شرعي من سلطة شرعية.
 - تشن بالاساس لتحقيق السلام والعدل.
- وعند تطبيق هذه المبادئ على الحرب التي شنتها الولايات المتحدة على العراق، نجد بانه من الصعوبة اعتبارها حرباً عادلة او اخلاقية للأسباب التالية:
- ان الولايات المتحدة لم تتعرض لاعتداء مباشر من العراق، كما ان مبررات الحرب التي كانت امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل ثبت لاحقاً انها ادعاءات غير دقيقة، الامر الذي يضعف من شرعية الحرب الاخلاقية او السياسية.
 - ما اعقب غزو العراق من فوضى ومعاناة الشعب العراقي، يثير تساؤلات حول نية تحقيق السلام والاستقرار وهو ما يعد شرطاً اساسياً في فلسفة أوغسطين حول الحرب العادلة.

وبالتالي فان هذه الحرب لا تتوافق جوهرياً مع معايير العدالة التي تحدث عنها القديس أوغسطين، بل كانت اقرب الى تدخل يحمل ابعاداً استراتيجية وسياسية اكثر من كونه استجابة لواجب اخلاقي.

الخاتمة: في ضوء ما تقدم من استعراض لاهم افكار القديس أوغسطين لنظرية الحرب العادلة يتبين ان رؤيته تأسست على رؤية عميقة حاول ان يوازن فيها بين حكم العقل وإرادة السلام والاعتراف بالواقع الانساني المعيب من خلال النقاط التالية:

(3) أوغسطين، مدينة الله، مصدر سبق ذكره، ص311.

أولاً: يقر أوغسطين بأن اللجوء للحرب هو شر لا محالة ولكنه ضروري عندما تستباح العدالة ويهدد السلام العام وبالتالي فالحرب لم تكن اختياراً بقدر ما كانت واجباً أخلاقياً في مواجهة الظلم الجسيم.

ثانياً: أشار الى ثلاث شروط جوهرية تمهد للحرب، السبب العادل، السلطة الشرعية، ونية السلام باعتبارها هدفاً أصيلاً وليس تحقيق المنافع الدنيوية.

ثالثاً: نجد فكرة جوهرية في طروحاته متمثلة ب فكرة (الرحمة) بعد الحرب حيث يجب ان يظهر الغالب للمغلوب جمال السلام والتسامح ليعيد خصومه الى حالة وجدانية من الانسجام والعدالة لا لأنه يسحقهم بل لخلق لهم مأمناً دائماً، ثم نراه يحدد امامنا علم اخلاقي متين يوفر اطاراً متكاملًا للحرب التي يراد بها حماية الانسانية والحفاظ على كيانها مع الحد من الشطط والانتقام وأخيراً تأسيس سلام متين وشامل. هذا الإطار الاخلاقي الذي وضع اسسه القديس أوغسطين في القرن الثالث الميلادي اضحى حجر زاوية في تطور نظرية الحرب العادلة لاحقاً، لذا يمكن القول ان أوغسطين قد اسهم في تأطير الحرب بوصفها خياراً مأساوياً يستخدم لمواجهة الشر والظلم على امل الوصول الى سلام عادل ودائم حتى وان كان ثمن السلام نزيهاً مؤقتاً.

المصادر

أولاً: الكتب المقدسة

- العهد الجديد

ثانياً: المصادر العربية والمترجمة

- 1- أ.د احمد سمير محمد، مبدأ حسن النية في قانون المرافعات المدنية: دراسة تحليلية مقارنة، بحث منشور في مجلة الدراسات المستدامة، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد الثالث، ملحق 1.
- 2- الان د. فينيزجيرالد، أوغسطينيوس عبر العصور، ج1، ط1، ترجمة عادل فرج عبد المسيح، مركز بيت الحياة، 2010.
- 3- أ. س سفينسيسكايا، المسيحيون الاوائل والامبرطورية الرومانية: خفايا العصور، ط2، ترجمة د. حسان ميخائيل اسحاق، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2007.
- 4- اندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، مكتبة الاخوة، القاهرة، 2002.
- 5- أوغسطين، مدينة الله، ترجمة الخور اسقف يوحنا الحلو، ط2، دار المشرق، بيروت.

- 6- جاريث ب ماثيوز، أوغسطين، ترجمة ايمن فؤاد، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.
- 7- جميل حمداوي، هل هناك حربا عادلة، كتاب الاصلاح، العدد 14، 2016.
- 8- جورج سباين، تطور الفكر السياسي، الكتاب الاول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010.
- 9- ديفيد فيشر، الاخلاقيات والحرب: هل يمكن ان تكون الحرب عادلة في القرن الواحد والعشرين، ترجمة عماد عواد، إصدارات عالم المعرفة، الكويت، 2014.
- 10- أ.د. صدام مرير حمد، الحروب الهجينة ودورها في مستقبل الصراع العالمي، مجلة تكريت للعلوم السياسية، 2024.
- 11- عبد الرحمن بدوي، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت.
- 12- كريستيان تورينو، القديس أوغسطين، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة ناصر الحلواني، مجلة حكمة، 2020.
- 13- محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الامبراطورية، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995.
- 14- نوريس بيشوب، تاريخ اوروبا العصور الوسطى، ترجمة علي السيد، ط1، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- 15- هنري تشادويك، أوغسطينيوس، مقدمة قصيرة جدا، ترجمة احمد محمد الروبي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2016.
- 16- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، عصر الايمان، المجلد 4، الجزء الأول، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت.
- 17- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، 2014.

ثالثاً: المصادر الاجنبية

- 1- Arastirma makalesi, the just war in political thought, from cicero to Gristius, Cankiri Kara tekin university, journal of the faculty of Economic And Administration Sciences, Y2022, volum13, Issue3
- 2- Andrej Zwitter, Augustine on war and peace, an article, peace Review 26,no.3,july 3,2014.
- 3-Berit van Neste, Cicero and ST.Augustine's just war theory: classical influences on a Christian idea, thesis of master, university of south florida,2006.
- 4-CICERO, the Republican,G.W featherston Haugh, published by G.&C Carvill,108 Broadway ,1829, New York.
- 1- Cicero, De Officiis, trans. S.watter miller,willjam Heinemann LTD.London1913.

- 2- Henrik Sysc, Religious ethics, Christianity and war, an article published in Nardic journal of applied ethics, 2009.
- 3- John mark mattox, Saint Augustine and the theory of just war, British library cataloguing Data ,2006.
- 4- John langan, the element of St. Augustine's just war theory, the journal of religious ethics vol.12,no.1, 1984.
- 5- J.warren smith, Augustin and the limits of preemptive and preventive war, journal of religious ethics, Feb 2007.

المواقع الالكترونية

- أوغسطين، رسالة أوغسطين للقائد بونيفاس 189،
advent,newadvent.org/fathers/1102189.htm?utm_source=chat